فوائد

على آيتي الزُّمَر

وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١ [الزمر: ٦٠-٦١]

بقلم

أحمد الجوهري عبد الجواد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله سبحانه وتعالى وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم، وبعد فهذه فوائد على آيتين من سورة الزمر، هما قوله تعالى:

وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١ [الزمر: ٦٠-٦١]، كتبتها على إثر سماع الآيتين بقراءة فضيلة الشيخ محمد الحسن الددو حفظه الله تعالى - يظهر أنها كانت في خطبة الجمعة فلم يكن المقطع المرئي يتضمن سواهما - يقرؤهما باكيًا خاشعًا. أسأل الله تعالى أن يتقبلها ويكتب أجر عملي فيها وعمل من شارك في إبرازها، إنه خير مسؤول وأعظم مأمول.

أحمد الجوهري عبد الجواد

الفوائد

على الآية الأولى

وهي قوله تعالى: **وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠ [الزمر: ٦٠]**

الفائدة الأولى

{ويوم القيامة..}.

بالله، لو لم يكن هذا اليوم كيف كان للإنسان أن يصبر على هذا الضر والأذى الذي يراه؟!

الحمد لله على اليوم الآخر.

والحمد لله على الإيمان به.

***

الفائدة الثانية

{ويوم القيامة ترى..}.

أيها المحسن سيُريك الله المسيئين، ويُشفي غيظ صدرك أيها الصالح من المفسدين، وتنظر بعينك أيها المظلوم هلاك الظالمين.

***

الفائدة الثالثة

{ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله..}.

أعظم أنواع الكذب: الشرك، وأعظم أنواع التكبر: التكبر عن التوحيد.

***

الفائدة الرابعة

{الذين كذبوا على الله}.

فإياك ونسبة شيء إلى الله تعالى من صفة أو فعل أو تشريع وهو ليس كذلك، فإنك تدخل به في {الذين كذبوا على الله}.

ولك أن تتصور خطر ذلك بهذا المثال، قال الأئمة: "إن الحكم المَقيس غيرَ المنصوص يجوز أن يقال: هُو دينُ الله، ولا يجوز أن يقال: قاله الله"، فتخيل!

***

الفائدة الخامسة

{ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله..}.

كيف جرؤ هؤلاء على هذه الفِعلة الشنيعة، الله الذي وجب له كل كمال ووجب له كل جلال ووجب له كل جمال تنسب إليه النقائص وتلصق به المعايب ويوصف بما لا يليق به؟!

سبحانك ما أحلمك عليهم، وويلهم من جراءتهم تلك عليك وجهلهم العظيم بجنابك وجانبك، تنزهت ربي وتعاليت!

***

الفائدة السادسة

{وجوههم مسودة}.

- تسودُّ حقيقة.

- أو يَعمُر أصحابها الهم، ويغمرهم الغم، وتعلوهم الكآبة.

وذلك في الآخرة.

ولهم نصيب من ذلك في الدنيا.

***

الفائدة السابعة

{ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة..}.

مبعث هذا كله: الجهل بالله، فمن جهل أشرك، ومن أشرك اسود قلبه، ومن اسود قلبه نضح ذلك على وجه، فالجهل بالله ظلمة بل ظلمات.

أعاذنا الله منها.

***

الفائدة الثامنة

{وجـــــــــــــــــــــــوههم مســـــــــــــــــــــــــودة}.
ليس سواد اللون، فإن سواد اللون من خلق الله تعالى، وهو لا يذم لذاته، بل هو سواد الذنوب.

ولهذا تسود وجوه أهل الكفر والضلالة ولو كانوا من أهل البشرة البيضاء، وتبيض وجوه أهل الإسلام والهداية ولو كانوا من أهل البشرة السوداء.

***

الفائدة التاسعة

{ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة..}.

إذن هي حالة القلب نضحت على الوجه وعلم بها الناس جميعًا، إن ما كان يجتهد الإنسان في إخفائه في الدنيا قد بان رغمًا عنه ومعه دليله وعلمه القريب والغريب والداني والبعيد والعدو والحبيب.

فاجتهد في تحسين باطنك لله فذلك الباطن سيكون يوم القيامة ظاهرك الذي تبدو عليه في البشرية كلها.

***

الفائدة العاشرة

{ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة..}.

كل كاذب مفضوح لا محالة، إن في الدنيا أو في الآخرة، فاتق الله وكن مع الصادقين، وتب إليه ولا تكن مع الكاذبين.

***

الفائدة الحادية عشرة

{أليس في جهنم}.

جهنم، تلقاهم بالتجهم والعبوس، تنتقم لربها جل جلاله ممن جهله وجهل عليه وجاوز قدره وتجاوز في حقه.

وحق لها، وإذا كان هذا فعلها فكيف بفعل الإنسان؟! وكيف تكون غيرته على ربه تبارك وتعالى؟!

***

الفائدة الثانية عشرة

{أليس في جهنم مثوى للمتكبرين}.

أليست جهنم كافية لها سجنًا وموئلًا لهم فيها دار الخزي والهوان، بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق!

تالله لو كانت شمعة لكانت كافية، فكيف بجهنم؟!

يا رب عفوك!

***

الفائدة الثالثة عشرة

{ألـــــــيس فـــــــي جهـــــــنم مثـــــــوى للمتكبـــــــرين}.
أصحاب التكبر مراتب أقواها الشرك.

ولا ريب أن لكل منهم نصيبًا من عذاب النار، وفي الحديث: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر".

فاحرص على نقاء قلبك من كثيره وقليله.

***

الفائدة الرابعة عشرة

{ألـــــــيس فـــــــي جهـــــــنم مثـــــــوى للمتكبـــــــرين}.
أعماه تكبره عن أن يظن خلاف ما يهواه، ولو على سبيل الاحتمال.

وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال.

***

الفائدة الخامسة عشرة

{وجـــــــوههم مســـــــودة} {مثـــــــوى للمتكبـــــــرين}.
جازاهم بضد مقصودهم، أرادوا أن يرتفعوا فوضعهم، لأن المتكبر إذا كان سيئ الوجه انكسرت كبرياؤه.

***

الفائدة السادسة عشرة

{أليس في جهنم مثوى للمتكبرين}، {فبئس مثوى المتكبرين}.

تكرار ذم صفة التكبر في هذه المساحة القريبة مرتين يلفت النظر بقوة للتحرز من صفة التكبر، ويشير إلى دورها الخطير في صرف العبد عن الهداية وتقريبه من الضلالة.

***

تمت فوائد الآية الأولى، والحمد لله رب العالمين.

الفوائد

على الآية الثانية

وهي قوله تعالى: **وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١ [الزمر: ٦١]**

الفائدة الأولى

{وينجي..}

ينجيهم مرات كثيرة، من أهوال كثيرة، بما اتقوه في أحوال كثيرة، وفي قراءة: {وَيُنْجِي} - بالتخفيف - مطلق إنجاء لمن اتقى شيئًا دون أشياء.

***

الفائدة الثانية

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

والتقوى درجات، تقوى الشرك، وتقوى الكبائر، ونقوى الصغائر، وكل منها درجات ومراتب، وكذلك النجاة والجنات مي مقابل ذلك: درجات ومراتب.

***

الفائدة الثالثة

{وينجي الله الذين اتقوا..}.

وأعظم ما يجب أن يتقيه المسلم لينجو من جهنم: الشرك، فإنه إن تجاوز له الله تعالى عما دونه لم يدخل النار، وإن لم يتجاوز له عما دونه دخلها ولم يخلد فيها، وكلاهما خير له عظيم.

***

الفائدة الرابعة

{وينجي الله الذين اتقوا}

ثمرات التقوى لا تعد ولا تحصى، وهل ينجو من ينجو يوم القيامة إلا بصدق التقوى؟ تكلّ الألسن عن وصف ربح المتقين، ويكفي من ذلك: العلم بأنهم سادة الناس في الآخرة.

***

الفائدة الخامسة

{وينجي الله الذين اتقوا..}

إنما تتقى النار بالتقوى؛ أداء فرائض الله، واجتناب معاصيه، في الدنيا، لن ينفع هناك جاه أو مال أو غيرهما.

فاجتهد هنا في جمع ما ينفعك هناك: أعمال، فضائل، اجتناب نواهٍ.. إلخ.

***

الفائدة السادسة

{وينجي الله الذين اتقوا}

لا يقال: المراد به من اتقى كل الكبائر، كما ذهب إليه بعضهم، وعلله بأنه لا يوصف بالاتقاء المطلق إلا من كان هذا حاله، فإن هذه الآية بعد قوله تعالى: {ويوم القيامة ترى الذين كذبوا} وهي تبين أن المراد الذين اتقوا ذلك الكذب، وهذا يقتضي أن كل من لم يتصف بذلك الكذب يدخل تحت ذلك الوعد الكريم.

***

الفائدة السابعة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

فماذا عن غيرهم، من الذين لم يتقوا الله تعالى فلم يؤدوا الفرائض ولم يجتنبوا النواهي، ماذا عنهم؟ يجيب ابن زيد: "يحملون أوزارهم يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون".

فانظر ما الذي تنفعك به التقوى!

***

الفائدة الثامنة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

وأهم أقسام الفوز: النجاة؛ لأنها من أعظم الفلاح، وسبب النجاة: العمل الصالح.

***

الفائدة التاسعة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

المفازة: الأعمال الحسنة؛ لأنها سبب الفوز.

قال البقاعي: مفازة كل أحد في الأخرى على قدر مفازته بالطاعات في الدنيا.

***

الفائدة العاشرة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

أعظم الفوز في الدنيا: الفوز بالطاعات والخيرات، وفي الآخرة: الفوز بالنجاة والجنات.

***

الفائدة الحادية عشرة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

أعظم الفوز أن تخرج من الدنيا بحسنات تنجيك من النار.

***

الفائدة الثانية عشرة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

وأولى ما أطلقت المفازة على الأعمال الشاقة التي عملها المرء في الدنيا، من صبر على إغراء أو إضرار، فصبر نفسك عنهما بهذه الآية وأعدهما لهذا الموقف.

***

الفائدة الثالثة عشرة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

فكأن هذه الدنيا صحراء مهلكة، والصحراء تسمى عند العرب مفازة تفاؤلًا - وكأن الأعمال الصالحة فيها هي المركب لعبورها، فمن ظفر بها نجا.

***

الفائدة الرابعة عشرة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم.}

ومن كان في مفازة مهلكة وبرية مردية احتاج إلى دليل للسلامة فيها والخروج منها، وليس أعظم من التقوى تدله على فعل وترك ما يجب لتحقيق غرضه وبلوغ هدفه.

***

الفائدة الخامسة عشرة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم..}

حمى أولياءه هنا من الشيطان والنفس والهوى أن يوقعوهم في رجس السيئات، وحماهم هناك من السوء والمكروه والحزن.

هنا معصومون وغدًا منعَّمون.

لله ما أسعدهم وأهنأهم.

ووالله إن كل ثمن في سبيل الفوز بهذا الأجر لزهيد.

***

الفائدة السادسة عشرة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

فالتوفيق إلى الطرق التي تؤدي إلى الفوز والنجاة منه سبحانه، فليتعلق العبد به، ويتضرع إليه، ويدعوه، ويلح عليه أن يوفقه؛ فمنه الخير كله وإليه يرجع الأمر كله جل وعز.

***

الفائدة السابعة عشرة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

قرئ: (بمفازاتهم) على أن لكل متّق مفازة، فما يفتح الله للعبد من باب يصل إليه من خلاله يسلكه، إن من جهة العطاء فيشكر، وإن من جهة الحرمان فيصبر، وإن بالصلاة وإن بالصوم وإن بالجهاد وإن بالقرآن، والأبواب إلى الله تعالى بعدد أنفاس البشر.

***

الفائدة الثامنة عشرة

وفي الحديث: "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الريان.

قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، وأرجو أن تكون منهم.

***

الفائدة التاسعة عشرة

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

أيها السالك، أنت بحاجة إلى كل وقت، وكل موضع، وكل عمل، فلا تغفل فتهلك ولا تكسل فتردى ولا تلتفت فتتأخر.

***

الفائدة العشرون

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

أراد الله بهم ولهم الخير، فكان، وتوافق العلمان والكتابان، ولهذا قيل في تفسير (بمفازتهم): ما فازوا به من الإرادة، أي: بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله.

***

الفائدة الحادية والعشرون

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

أيها السالك، أنت هنا في برِّيَّة، وبقدر ما تتحمل من مشاق القيام بالطاعات ومصاعب الابتعاد عن السيئات تعظم نسبة سلامتك ونجاتك ورتبة نعمائك وكراماتك.

***

الفائدة الثانية والعشرون

{وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم}

أيها السالك، احرص على العمل واجتهد فيه، ثم اعلم لا يكفي للنجاة حتى يكون فضل الله تعالى عليك، فلا تعتمد على عملك وتعلق بفضله، وفي الحديث: "قاربوا وسددوا، وأبشروا، واعلموا أنه لن

ينجو أحد منكم بعمله، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل".

***

الفائدة الثالثة والعشرون

{لا يمسهم السوء}

أعظم السوء: العذاب، كل سوء يهون ويمر، إلا أن يكون العذاب في الآخرة.

***

الفائدة الرابعة والعشرون

{لا يمسهم السوء} غيرة منه تعالى على أوليائه إذا حرصوا على طاعته واجتنبوا معصيته في الدنيا أن يمسهم من أذى جهنم شيء، وهو السوء الذي أخبر جل ثناؤه أنه لن يمسهم.

***

الفائدة الخامسة والعشرون

{لا يمسهم السوء}

الوعد بأنهم لا يمسهم السوء والمكروه جاء الخبر به بعد المفازة والنجاة، وأما قبل ذلك فقد يمسُّهم السوء، بل هو الأصل في أولياء الله في هذه الحياة: "أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل،

يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة".

***

الفائدة السادسة والعشرون

{لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون}

ومن ذلك أن الجنة التي ينعمون فيها بنعيم الله ويكرمون فيها بكرامة الله تعالى لا تفنى ولا تبيد ولا يموت أهلها ولا تنقطع لذاتهم، ومن ذلك أن هذا النعيم وتلك الكرامة في ازدياد أبدًا.

***

الفائدة السابعة والعشرون

{لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون}

يغار على أبدانهم وقلوبهم، فأخبر أنهم لا يمس أبدانهم أذى ولا قلوبهم حزن، فأمنهم في الظاهر والباطن.

***

الفائدة الثامنة والعشرون

{ولا هم يحزنون}

لا ريب أن العامل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله التارك لمعاصي الله على نور من الله يخاف عقاب الله قد فاته من آراب الدنيا الكثير، وهنا يبشرهم ربهم سبحانه بأنهم إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان لن يحزنوا على شيء مما فاتهم أبدًا.

***

الفائدة التاسعة والعشرون

{لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون}

من عاش برهة من عمره سالمًا من الأذى ورزقه الله الرضا عن حياته فلم يحزن على ما مضى فهو في بعض نعيم أهل الجنة، فليعرف فضل ما هو فيه وليحمد الله بما يليق بذلك.

***

الفائدة الثلاثون

{لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون}.

"جيء في جانب نفي السوء بالجملة الفعلية؛ لأن ذلك لنفي حالة أهل النار عنهم، وأهل النار في مسَ من السوء متجددٍ، وجيء في نفي الحزن عنهم بالجملة الاسمية؛ لأن أهل النار أيضًا في حزن وغمٍّ ثابت لازم لهم.

ومن لطيف التعبير هذا التفنن؛ فإن شأن الأسواء الجسدية: تجدد آلامها، وشأن الأكدار القلبية: دوام الإحساس بها".

***

الفائدة الحادية والثلاثون

{وينجي الله الذين اتقوا..}.

هذه الآية في مقابل الآية السابقة؛ لأن الأشياء تتبين بأضدادها، هذه فيها ترغيب في حالة المتقين، كما أن الآية السابقة فيها ترهيب من حالة الكاذبين، هذه وعد وتلك وعيد.

***

الفائدة الثانية والثلاثون

{وينجي الله الذين اتقوا..}

أعلمنا تبارك وتعالى "بأن التقوى تنافي التكبر؛ لأن التقوى كمال الخُلق الشرعي وتقتضي اجتناب المنهيات وامتثال الأمر في الظاهر والباطن، والكبرَ مرض قلبي باطني فإذا كان الكبر ملقيًا صاحبه في النار بحكم قوله: {أليس في جهنم مثوى للمتكبرين}، فضد أولئك ناجون منها وهم المتقون؛ إذ التقوى تحول دون أسباب العقاب التي منها الكبر".

***

خاتمة

تمت - بحمد الله تعالى - هذه الفوائد على آيتي سورة الزمر: {ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (٦٠) وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون}.

وقد طوفت خلالها - بعون الله تعالى - بمئة تفسير أو يزيد، عبر العصور المختلفة من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، من كل ألوان التفسير.

وعدد الفوائد التي أوردتها على الآيتين - بفضل الله تعالى -: (٤٧) فائدة.

شكر الله لذلك الشيخ الكريم الذي بعث في القلب الهمة لجمعها، بقراءته تلك الخاشعة الضارعة، وكتب أجره.

والحمد لله وحده، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

أحمد الجوهري عبد الجواد